

دور الثروات المعدنية في نشأة المراكز المنجمية في العهد الاستعماري بالجزائر. "مركز الونزة المنجمي نموذجا".

The role of mineral resources in establishing mining centers during the colonial era in Algeria" Al-Ouenza mining center as a

براكني عبد الباقي*

جامعة الشهيد العربي التبسي - تبسة

Abdelbaki.brakni@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 2023./06./24 تاريخ القبول: 2024./06./28

● الملخص:

إن البحث في موضوع العمران في المراكز المنجمية، التي شيدت خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر من طرف شركات الامتياز الأوربية على نمط العمران الاستعماري الأوربي، والذي ظهر في بدايات القرن العشرين في مناطق نائية وريفية في الجزائر، على يد شركات الامتياز الفرنسية، التي شرعت في تلك الفترة في استغلال الثروات المعدنية مثل الفوسفات والحديد، واحتاجت إلى إقامة مراكز سكنية لصالح الموظفين والعمال الأوربيين، واليد العاملة الجزائرية. حيث اختلف نمط العمران بين الفئتين، وبدا التمييز في السكن واضحا بينهما. ويعتبر النمط العمراني الذي شيدته الشركة الفرنسية المسماة: "شركة حديد الونزة"، في سفح جبل الونزة الغني بمعدن الحديد في مركز الونزة الواقع في شرق البلاد حيث عرف نمط العمران في ذلك المركز تطور طيلة الفترة الاستعمارية، واختلط فيه النمط العمراني الأوربي الحديث، بالنمط العمراني الجزائري القديم، واختلف عنه في الشكل والتخطيط، وفي طبيعة مواد البناء والتجهيز، وهو ما سنبينه في هذه الدراسة. الكلمات المفتاحية: فرنسا، الونزة، التعمير البشري، النمط العمراني.

Abstract: Research into the issue of urbanization in the mining centers, which were built during the French colonial era in Algeria by European concession companies in the style of European colonial urbanism, which appeared at the beginning of the twentieth century in remote and rural areas in Algeria, at the hands of French concession companies, which embarked on that The period involved the exploitation of mineral resources such as phosphate and iron, and required the establishment of population centers for the benefit of European employees and workers, and the Algerian labor force. The urban pattern differed between the two groups, and the distinction in housing between them seemed clear. The urban pattern that was built by the French company called: "Ouenza Steel Company" is considered to be at the foot of Mount Al-Ouenza, which is rich in iron ore, in the center of Al-Ouenza, located in the east of the country. The urban pattern in that center was known to have developed throughout the colonial period, and the modern European urban pattern was mixed with the urban pattern. The old Algerian urban building differed from it in form and planning, and in the nature of building materials and equipment, which we will show in this study.

Keywords: France, AlOuenza, human développement, urban style

● مقدمة:

لا يزال البحث في موضوع العمران في المراكز المنجمية، التي شيدت خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر من طرف شركات الامتياز الأوربية من الموضوعات التي لم تنل حضاها من البحث والدراسة والتقصي حتى الآن. لاسيما وأن هذا الموضوع مرتبط ارتباطا وثيقا بظهور نمط معماري غربي في وسط ريفي جزائري، ويخص فئتين من العمال مختلفتين في المصالح، والأهداف، هما فئة اليد العاملة الجزائرية، وفئة الموظفين والعمال الأوربيين. وهو موضوع هام وشائك في آن واحد، يتطلب الاعتماد الكلي على الوثائق الأرشيفية لتلك الشركات الأوربية.

-درست فيه الأوضاع الاجتماعية لكلا الفئتين العماليتين الجزائريتين بالشركة، من خلال دراسة نوعية المساكن المخصص لهم ومقارنتها مع مساكن العمال الأوربيين، من حيث نمط العمران ونوعية البناء والجدران والمواد المستخدمة والمناطق التي تركزت فيها مساكن الفئتين إضافة إلى طبيعة الأعمال المؤكدة إلى الفئة الجزائرية هذه الأخيرة شملت نوعين من اليد العاملة الجزائرية.

الفئة الأولى هم عمال مديون أحرار تم جلبهم من المداشر والأرياف والقرى المجاورة أما الفئة الثانية هم السجناء سواء كانوا عسكريين أو مدنيين هؤلاء تختلف نوعية مساكنهم وطبيعة معاملتهم، من هنا نشأت مستوطنة فرنسية أوربية العمران وقرية جزائرية نمطها مختلف تماما عن الأولى.

الموقع الجغرافي لمناجم الوزنة وأحوازاها:

تقع مناجم حديد الوزنة، في منطقة الغابات التي تنتشر في شمال ولاية تبسة، وتغطي حوالي 9% من المساحة الكلية لولاية تبسة. ويقع مركز الوزنة المنجمي، في المنطقة الحدودية الشرقية للجزائر. «تحدّه شمالا مدينة سوق أهراس، التي تبعد عنه بحوالي 95 كم، وبلديات كل من سيدي فرج و التاوره، و بني بربير؛ ومن الجنوب مدينة تبسة، بنحو 88 كم، ومركز بوخضرة المنجمي، وبلدية المريج؛ ومن الشرق الحدود الجزائرية -التونسية بنحو 20 كم.»⁽¹⁾ ومن الغرب دائرة العوينات.

(1) عبد الوهاب شلاللي، أوضاع العمال المسلمين الجزائريين في مناجم الوزنة: 1913-1966، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2003-2004، ص. 26.

لمحة عن شركة حديد الوزنة

تأسست شركة حديد الوزنة في عام 1913 م، وتحوّلت بفضل غنى مناجم الوزنة بالحديد من شركة فرنسية صغيرة إلى أهم شركة أوروبية في إنتاج خام الحديد في شمال إفريقيا. تكوّن رأسمالها من الأسهم التي كانت تتبعها من حين إلى آخر في بورصة باريس، مما سمح للمؤسسات والخواص بشرائها، والاستفادة من أرباحها .

شرعت تلك الشركة الأوروبية، منذ العام 1913 م، في تهيئة مناجم حديد الوزنة للاستغلال، ثم دخلت مرحلة الإنتاج ابتداء من عام 1922 م، حيث صدرت أول حمولة من معدن الحديد إلى فرنسا من ميناء عنابة، الذي كان ينقل إليه المعدن بواسطة عربات القطار عبر خط سكة الحديد الوزنة-الكبريت-عنابة.

لعبت شركة حديد الوزنة، بفضل توسع حجم إنتاجها لخام الحديد، دورا اقتصاديا وماليا كبيرا «في تنمية اقتصاد الجزائر المحتلة، من خلال مساهمتها في توفير مناصب الشغل؛ ومد الطرقات في محيط امتيازها المشتمل على مقاطعتي الوزنة وبوخضرة؛ وبناء المساكن والمرافق الاجتماعية؛ وتغذية خزينة المستعمرة بمختلف أنواع الضرائب، وتقاسم الأرباح مع حكومة الجزائر العامة، ومساهمتها في سد عجز خزينة مؤسسة سكك حديد الجزائر⁽²⁾.

العمران في مركز الوزنة المنجمي:

كانت شركة الوزنة تفرّق بين عمالها الأوربيين والجزائريين في المسكن، والأجر، والحقوق المهنية الأخرى، بالرغم من أن عدد الأخيرين يفوق بكثير عدد الأولين.

كان العمال الجزائريين بمناجم الوزنة، ينقسمون إلى ثلاث فئات اجتماعية هي: فئة العمال العزاب؛ وفئة العمال المتزوجين من دون أطفال؛ وفئة العمال المتزوجين ولهم أطفال. وكانت فئة العمال العزاب تغلب على بقية الفئات.

وكانوا يتوزعون على منطقتين سكنيتين. المنطقة الأولى هي المركز الاستيطاني المعروف باسم الوزنة، وهو ملك للشركة صاحبة الامتياز، حيث كان أهلا بالعمال الأوربيين وأسرههم، وبه القليل من العمال الجزائريين. وكانت مبانيه السكنية ملكا للشركة، وبالتالي كانت تتحكم في توزيعها على العمال، بحسب أوضاعهم الاجتماعية. ثم هناك منطقة حي البياضة السكني، الذي بناه الجزائريون في ضواحي الوزنة بإمكاناتهم الخاصة والبسيطة، وكان يضم أكواخا ضلت تأوي الآلاف من الجزائريين حتى الاستقلال⁽³⁾.

ويمكنني القول، أن ظروف العمل القاسية في المنجم، والإحساس بالاغتراب، دفع العمال الجزائريين إلى التكتل على أساس جهوي للتعبير عن انتمائهم، واثبات شخصيتهم. فقد كان هناك تكتل للعمال القبائل، وآخر للعمال السوافة، وآخر لعمال منطقة المناجم.

(2) شلال، المرجع نفسه، ماجستير، ص. 16.

(3) شلال، المرجع نفسه، ماجستير، ص. 82.

تجدر الإشارة إلى أنه كان هناك نوعان من العمال الجزائريين في مركز الونزة المنجمي: سجناء، وعمال أحرار. وبالتالي كان يوجد نوعان من المساكن. مساكن خاصة بالفئة الأولى، ومساكن خاصة بالفئة الثانية.

مساكن العمال السجناء:

كانت إدارة شركة الونزة تضع العمال السجناء في مرافق يشرف عليها حراس مسلحين من إدارة السجون، وكانت تفصل بين السجناء العسكريين، والسجناء المدنيين. حيث جعلت لكل فئة معسكر في ناحية من المنجم. وبالرغم من اتفاقها مع المؤسسات العقابية التي تزودها بذلك النوع من اليد العاملة، حول شروط إقامتهم، إلا أنها في الواقع لم تكن تلتزم بها حرفياً. فعلى سبيل المثال، اشترطت عليها إدارة سجن "ميزون كاري"⁽⁴⁾ في أول تعاقدتها معها، أن تهيأ لهم معسكراً شديداً للحراسة، لمنع أي محاولة فرار. لذا عندما قرّرت تشغيلهم في إنجاز سكة الحديد للتوصيل، اختارت إسكانهم، «في الجهة التي بها عوارض من أول الخط إلى الكيلومتر 4,5 حيث يجب أن تهيأ لهم منشآت تكون نوعاً ما قارة»⁽⁵⁾

ذُكر في المادة 8 من عقد تأمين وقعه شركة الونزة مع إحدى وكالات التأمين بعنابة، أن: «مساكن المساجين المدنيين والعسكريين كانت معزولة عن بعضها البعض. وأن هناك مبنيان مخصصان كسكن للسجناء العسكريين يحيط بهما سور»⁽⁶⁾.

أقيم المعسكر المؤقت للسجناء العسكريين بالكُدية السوداء، وكان يتسع لعدد يتراوح بين 150 و375 سجين حسب تقديرات إدارة الشركة⁽⁷⁾ ضم خمس بنايات، منها مرقدين كبيرين منفصلين عن بعضهما البعض، وبنية بها زنانات لعزل أي سجين، وأخرى بها عيادة ومطبخ.⁽⁸⁾

لم يكن السجناء المدنيون، أوفر حظ من إخوانهم السجناء العسكريين. إذ أسكنوهم أيضاً في خيم في معسكر خاص بهم، لا تقي من لسع الحر ولا من إصابة القرّ. وقد ذكرت إدارة الشركة في إحدى مراسلاتها، أن: «... المباني المطلوبة لهم عديمة الأهمية. فهؤلاء الرجال يسكنون في جهة سوق أهراس، فُردى في الخيام العسكرية، في ظروف يرثى لها أحيانا»⁽⁹⁾

⁴ يعرف هذا السجن اليوم باسم سجن الحراش.

⁽⁵⁾ Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettres: Siège Social, n° 2, lettre n°17 du 27 juillet 1916, Archive de la wilaya de Tébessa.

⁽⁶⁾ Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre : Assurance, n° 2, lettre de M. Le Chef de l'exploitation, à M. L'Agent de la Cie, d'assurances la " Paternelle ", Bône, n° D/C du 1 mars 1923, p. 77. A. W. T.

⁽⁷⁾ Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre: Services Publics, n° 3, lettre de M. Le Chef de l'exploitation au Commandant de l'établissement pénitentiaire d'Aïn-Beïda, n° D/C du 27 octobre 1924. pp. 145-146, A. W. T.

⁽⁸⁾ Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre: Siège Social, n° 11, lettre de M. Le Chef de l'exploitation au Commandant de l'établissement pénitentiaire d'Aïn-Beïda, n° D/C du 4 juillet 1925. p. 24, A. W. T.

⁽⁹⁾ Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre: Siège Social, n° 2, lettre n° 17 du 27 juillet 1916, A. W. T.

وقد نصبت الخيم لإيواء السجناء المدنيين، لأجل تسهيل « تغيير مواقعها باستمرار »⁽¹⁰⁾. لأن الشركة كانت في مرحلة تهيئة المناجم، وإعدادها للإنتاج، مما كان يسهّل عملية نقلهم من موقع إلى آخر عبر مساحة المنجم الكبيرة.

كان السجناء في البداية، يرقدون داخل المعسكر الخاص بهم، في خيم مخروطية الشكل، بداخلها أسرة من خشب. وعندما اشتكوا من تكاثر البق بها، استبدلت تلك الأسرة الخشبية بأسرة حديدية طولها 90 سم.⁽¹¹⁾

إلى غاية سنة 1937، لم يعرف سكان المركز المنجمي بالونزة الكهرباء؛ وبالتالي كانت الإنارة الوحيدة المتوقّرة هي الشموع، التي كانت تقتنى من السوق التجاري بالمركز، وتتمولى إدارة المنجم حسب قيمتها مع بقية المقتنيات الأخرى الضرورية من حساب المقاولين.⁽¹²⁾

لم يكن السجناء، راضين عن المساكن المهشة التي أجبرتهم إدارة الشركة على العيش فيها، وكانوا يعبرون عن سخطهم على ظروف إقامتهم بالمنجم بطرقهم الخاصة. فمثلا أقدموا في صيف 1924، على تمزيق 176 بطانية، كانت الشركة تكتريها من ملحقة مصلحة معسكر السجناء بعنابة⁽¹³⁾، وأحرقوا الخيم التي كانت تأويهم، وأجبروا إدارة شركة الونزة على دفع قيمتها لإدارة سجنهم.⁽¹⁴⁾

ونجد أيضا أن المسؤولين عن السجناء، عبروا هم أيضا أثناء تفقدتهم المساجين في المنجم، عن سخطهم على ظروف إقامة نزلائهم، وعن عدم رضاهم عليها، واعتبروا الخيم التي تأويهم غير صالحة. للسكن. ففي عام 1924، احتج مدير السجن العسكري لعين البيضاء، على إقامة نزلائه بالونزة، وطالب إدارة الونزة بتهوية غرف السجناء، وإنارتها، فاستجابت لطلبه حفاظا على تلك اليد العاملة الرخيصة⁽¹⁵⁾.

كما احتج مدير سجن "لمبيز"، عندما زار المنجم في سنة 1928، نزلائه العاملين في المنجم على نقص الغرف الخاصة بالمساجين. حيث وجد غرفتين فقط، يتكدّس فيها 210 سجيناً، ولم يجد غرف الحمام. فطلب من الشركة إضافة 3 غرف أخرى.⁽¹⁶⁾

(10) Ibid.

(11) Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettres: Siège Social, n° 11, Op.cit.

(12) شلالى، المرجع السابق، ص. 89.

(13) Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre: Divers, n° 12, lettre de M. Le Chef de l'exploitation, à M. L'Officier d'Administration, gérant l'annexe du service du campement de Bône, n° 727 du 12 septembre 1923. p. 49.

(14) Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre: Services Publics, n° 3, lettre de M. Le Chef de l'exploitation, à M. L'Officier d'administration, gérant l'annexe du campement de Constantine, n° S/S du 16 juin 1924. p. 20.

(15) Ibid, lettre de M. Le Chef de l'exploitation à M. Le Commandant de l'établissement pénitentiaire d'Aïn-Beïda, n° D/C du 10 octobre 1924. p. 134 & n° D/C du 11 octobre 1924. p. 137.

(16) Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre: Divers, n° 30, lettre de M. Le Chef de l'exploitation, à M. MOUGEOT, entrepreneur, Souk-Ahras, n° 787 du 12 juin 1928, p. 496.

مساكن العمال الأحرار:

بما أن العمال الجزائريين الأحرار، كانوا يأتون للعمل في مناجم الوزنة من مختلف أصقاع الجزائر، كان من المفروض على شركة حديد الوزنة أن توفر لهم الشركة مساكن لائقة، كما كانت تفعل مع العمال الأوربيين، الذين كانوا لا يطؤون أرض ذلك المركز المنجمي، حتى يضمن لهم السكن. لكن التمييز طغى على كل شيء في الشركة؛ وكانت معاناة الجزائريين في هذا الجانب كبيرة جدا، وتدلّ على حال البؤس الذي كانوا فيه.

كانت الوزنة حين نشأتها، بلدة مستجدة في العمران. وكان لها تأثير واضح على سلوكيات العمال الجزائريين المعيشية. إذ فرضت عليهم تدريجيا الانتقال من حياة البداوة التي ألفوها، إلى حياة الحضرة التي تاهوا فيها. كما أنها كانت تختلف عن بقية المدن الاستيطانية التي أقيمت على الساحل. فهي تعد بمثابة إمارة داخل مملكة. لأن الشركة بحكم عقد الامتياز، كانت لها اليد العليا على سطح الأرض، وباطنها. فلا يدخل المنطقة إلا من أذنت له هي بالدخول، أو أرسلته إليها سلطات المستعمرة.

بدأت الوزنة حين تأسيسها كتجمع سكاني صغير حيث كان بها في سنة 1916، حوالي 40 عاملا. ثم صارت بعد شروع الشركة في إنتاج الحديد في مطلع العشرينات، مركزا استيطانيا هاما يأوي آلاف العمال مع أسرهم، من جنسيات وأصول مختلفة. (17) كان منهم أوروبيون جاءوا من بلدان أوربية متعددة، وجزائريون وفدوا من مختلف جهات الوطن. هذا بالإضافة إلى عمال مغاربة، وتونسيين، وليبيين.

وكانت في بداية نشأتها، مقسّمة إلى حين رئيسيين، هما: الحي الذي احتوى على المباني الإدارية، ومساكن المسؤولين، وورش العمل؛ ثم الحي الذي به بعض المساكن المخصّصة للعمال الجزائريين، والتي كان من ضمنها منزلين قديمين، وأربعة أكواخ كبيرة محطّمة تقريبا. وفي سنة 1916، وقبل بدء شركة الوزنة نشاطها الإنتاجي، أرسلت مهندسا عنها إلى منطقة الوزنة لمعاينة المناجم التي كانت قد شرعت في تهيئتها منذ سنة 1907. ويتبين من خلال التقرير الذي رفعه المهندس إلى مسؤوليه، أنه وجد بعض المباني القديمة. منها ما كان يستعمل كمقر إداري، ومنها ما كان مخصصا لإقامة المسؤولين. أما البقية فكانت عبارة عن أكواخ بالية، كان يقيم فيها العمال الأهالي في عهد شركة الامتياز.

ذكر المهندس في تقريره أنه: «يمكن لهذه الأكواخ الأربعة الكبيرة، أن تأوي بين 50 و 60 عامل قبائلي ... فقط يتوجب ترميمها لأن حالتها تدهورت بفعل عوامل الطقس، وبناء أكواخ جديدة للعمال الأهالي الذين سيتم توظيفهم ... وتحويل قاعة الدراسة إلى مسكن للعمال» (18)

17 شلاللي، المرجع السابق، ص. 90.

(18) Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre: Siège Social, n° 2, lettre n° 18 du 18 mars 1916.

فالشركة لم تكن تهتم بملائمة مساكن العمال الجزائريين، ولا باستجابتها لمقاييس السكن اللائق كما تفعل مع عمالها الأوربيين. فقد كانت تحشرهم هنا وهناك، لتحافظ على بقائهم في المركز واستقرارهم في العمل، خاصة وأنها كانت في حاجة ماسة إليهم.

ولأخذ فكرة عن نوعية مساكن العمال الجزائريين، عند بداية اشتغالهم بالونزة، نجد تفصيلا عن ذلك في تقرير المهندس المشار إليه آنفا. فقد ورد فيه على سبيل المثال، أن مساكنهم: «كونها أكواخ طينية مرممة، كانت حالتها تتدهور كلما سقط المطر»⁽¹⁹⁾

لأجل ذلك، قرّرت إدارة شركة الونزة، الشروع في دراسات لإنجاز مباني ابتداء من 31 جويلية 1916. كما قرّرت قبل وضع التصميم النهائي لها، «الانتقال إلى منجم الكويف لدراسة التنظيم الخاص بمساكن العمال فيه، قبل إخضاع تصميمنا لموافقة الحاكم العام».⁽²⁰⁾

في سنة 1923، شرعت إدارة الشركة في إنجاز مساكن العمال الأوربيين؛ وبعدها بنت مساكن للعمال الجزائريين. وكانت تفرق بين الفتين في نمط البناء، وحجم المسكن. فقد وصفت المسكن الخاص بالعمال الجزائريين في إحدى مراسلاتها، بأنه كان: «على غرار النموذج الموجود بالكويف، المؤلف من مبنى من مسكنين به غرفتين».⁽²¹⁾

ولما ارتفع عدد سكان مركز الونزة، بين سنوات 1923 و 1925، من 1800 إلى 2300 نسمة، شرعت إدارة الشركة في بناء مساكن جديدة لإسكان العمال الوافدين إلى المنجم، وبخاصة منهم العناصر الأوربية⁽²²⁾.

كانت توجد بمركز الونزة في تلك الفترة، 23 بناية سكنية، منها واحدة فقط مخصصة لإيواء العمال الجزائريين. وكانت الشركة تجمعهم في غالب الأحيان، في مساكن بحسب انتمائهم الجهوي؛ وكانت تسكن العزاب منهم في غرف خاصة بهم.⁽²³⁾

وبخلاف العمال العزاب ذوي الأصول الأوربية الذين كانوا يقيمون مع ذويهم في مساكن خاصة، كان القليل من العمال الجزائريين المتزوجين من كان يقيم مع أسرته بالونزة. فأغلبهم كما جاء في أحد التقارير الإدارية، كان يترك أسرته في بلده، ويأتي للعمل بمفرده.⁽²⁴⁾

خصّصت "شركة حديد الونزة" المساكن التي بنتها للعمال والموظفين الأوربيين بالدرجة الأولى. أما العمال الجزائريين، فتركهم يعيشون في مساكن تقليدية عتيقة، كانت موزعة في الغالب بين الخيمة، والكوخ.⁽²⁵⁾

(19) شلال، المرجع السابق، ص. 93.

(20) Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre: Siège Social, lettre n° 17 du 27 juillet 1916.

(21) Direction de la société l'Ouenza, Correspondance Générale: 1945. Lettre de M. Le Directeur, à M. L'Ingénieur en chef des Mines, Alger, n° 1946 du 1 juin 1945.

(22) Direction de la société l'Ouenza, Assemblée Générale Ordinaire, du 11 juin 1924 & du 18 juin 1926 .

(23) شلال، المرجع السابق، ص. 94.

(24) المرجع نفسه.

²⁵ بحسب ما ذهب إليه المؤرخ الفرنسي "روبير أجيرون"، فإن: "الكوخ كان بالنسبة للجزائري، مأوى مؤقتا وبسيط. ثم صار نظرا لقلّة تكاليفه الشكل الطبيعي لمسكن الفلاح المستقر، ومرابي الماشية، والمفلس [وكذا عامل المنجم] ... سعره لا يتعدى 5 أو 6 ف. بينما الخيمة يقدر سعرها بين 50 و 100 ف.... وحسب المحققين، في سنة 1911 كان الكوخ المسكن العادي لحوالي: 1.648.700 جزائري من أصل 4.740.625 نسمة". أنظر كتابه:

« Les Algériens Musulmans et la France: 1871-1919 », T. 2, P. U. F., Paris, 1968, p. 814.

ويتبين من إحدى مراسلات الشركة، أن بعض العمال الجزائريين كانوا يقيمون مع أسرهم في أكواخ بدائية تملكها الشركة، تقع بمحاذاة الغابة. حيث كانت تشكل خطرا على حياتهم. فقد أشارت أن حريقا شب في اثنين منها سنة 1924، كاد أن يؤدي بحياة ساكنيها. مما دفعها إلى « التفكير في نقلهم إلى أكواخ أخرى، تنوي إقامتها لهم بعيدا عن الغابة، خوفا من احتراقها. (26)

في أبريل 1937، أحصت شركة الوزنة، عدد السكان الجزائريين، فوجدت: «750 عامل أعزب، و 14 أسرة أهلية ... ونريد أن نسكن خلال جويلية 1937، 870 عامل أعزب و 27 أسرة في الأماكن التي تقع في معسكر بجاية، الذي كان يقيم فيه السجناء العسكريون من قبل». (27)

وفي سنة 1949، فاق عدد العزاب المقيمين في الوزنة، عدد المتزوجين بشكل كبير، وعلى عكس العمال الأوربيين، لم يكونوا يقيمون كلهم في مباني الشركة. وكانوا يتوزعون بين بعض الغرف المخصصة لهم، وبين أكواخ حي البياضة السكني. (28)

تطورت بلدة الوزنة مع مرور الوقت، إلى أن وصل عدد العمال بها إلى 4500 عامل في سنة 1952، منهم 3000 عامل جزائري، موزعين بين مساكن الشركة، والمداشر المتناثرة حول منطقة الامتياز. وبلغ عدد سكان حي البياضة، الذي اتخذه الجزائريون مأوى لهم في ضاحية المدينة كما سبقت الإشارة إليه، 6000 جزائري. منهم عدد قليل كان يعمل في المنجم. (29)

خاتمة:

سمحت لنا هذه الدراسة بالوقوف على حقيقة الاستغلال المادي والبشري، الذي تعرضت له الجزائر من قبل الاستعمار الفرنسي، من خلال نموذج شركة حديد الوزنة، وإدراك الهدف الذي كان وراء تشجيع سلطات الاستعمار بالجزائر، لحركة الاستيطان الصناعي في المناطق الداخلية، على غرار الاستيطان الزراعي. حيث أفضى ذلك إلى إنشاء عدة مراكز استيطان مهمة، مثل مركز الوزنة فضاء هذه الدراسة؛ حيث جلبت إليها عمال وموظفين أوربيين مغامرين، ويد عاملة جزائرية دون البروليتارية.

ويمكن القول أن الاستعمار المنجمي، أعاد تشكيل المظهر الطبيعي للمناطق التي استغلها، وولد فيها بعض المراكز السكنية المحصورة، التي استوعبت يد عاملة غير متجانسة، أوربية وجزائرية وثبتت في الاقتصاد الجوّاري نمطا اقتصاديا مهما نوعا ما.

ويتتبع مراحل نشأة بلدة الوزنة، تبين لنا أن إدارة الشركة لم تضي عليها صفة المدينة ولا تنطبق إلا على مركزها. فأطرافها التي أقام فيها العمال الأهالي وأسرهم، مثل حي البياضة، ومخيم بجاية، وحي المقبرة، كانت بعيدة عن كل نسق عمراني حديث، أو توسع فضائي لائق،

(26) Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettres: Siège Social n° 2, lettre de M. Le Chef de l'exploitation, à la Société de l'Ouenza, Bône, n° 113 du 19 février 1924, p. 249.

(27) Direction de la société l'Ouenza, Correspondance Générale : 1937, lettre de M. L'Ingénieur en chef, à M. L'Administrateur Directeur, n° 2506 du 1 avril 1937.

²⁸Ibid.

(29) Direction de la société l'Ouenza, Correspondance Générale: 1951-1952, lettre de M. L'Ingénieur en chef, à M. Le Gouverneur général, n° 328 du 21 janvier 1952.

ولم تكن ذات أهمية من حيث التعمير. وكانت شاهد على حال البؤس والفقر الذي كان عليه الجزائريون في تلك الحقبة من تاريخ الجزائر تحت نير الاحتلال الفرنسي .

فالمراكز السكنية التي أنشأتها شركات الامتياز المنجمية، في مناطق استغلال المناجم، لم تكن لتطور العمران في المناطق الريفية والجبلية، بل كانت وسيلة لجلب اليد العاملة الفنية الأوربية، للعمل في مناجمها المعزولة، والحفاظ على اليد العاملة الجزائرية غير المؤهلة، ولو بالسماح لها بإنشاء أكواخ، أو نصب خيم في محيط المنجم الذي تملكه.

ويمكن القول أن ظروف العمل القاسية في المنجم، والإحساس بالاعتراب، دفع العمال الجزائريين إلى التكتل على أساس جهوي، للتعبير عن انتمائهم واثبات شخصيتهم. فقد كان هناك تكتل للعمال القبائل، وآخر للعمال السوافة، وآخر لعمال منطقة المناجم.

وبالرغم من أنهم كانوا يعملون بالقرب من مركز استيطاني حديث، إلا أن مظاهر الحضارة الحديثة لم تعرف طريقها إليهم، ولم يستفيدوا من مظاهر التمدن التي دخلت إلى تلك المنطقة النائية. فأغلبهم عاش في أكواخ بضواحي المدينة، كانت تنعدم فيها أبسط شروط الوقاية، فلم تكن تتوفر على الماء الصالح للشرب، ولا على قنوات الصرف الصحي، وكانت الإنارة، والتهوية بها غير كافية، مما كان يشجع على انتشار الأوبئة، والأمراض المعدية في محيطها، ويعرض حياة ساكنيها إلى خطر الموت .

قائمة المراجع

1. عبد الوهاب شلالي، أوضاع العمال المسلمين الجزائريين في مناجم الونزة: 1913-1966، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2003-2004، ص. 26.
2. شلالي، المرجع نفسه، ماجستير، ص. 16.
3. شلالي، المرجع نفسه، ماجستير، ص. 82.
4. يعرف هذا السجن اليوم باسم سجن الحراش.
5. Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettres: Siège Social, n° 2, lettre n°17 du 27 juillet 1916.
6. Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre : Assurance, n° 2, lettre de M. Le Chef de l'exploitation, à M. L'Agent de la Cie, d'assurances la " Paternelle ", Bône, n° D/C du 1 mars 1923, p. 77. A. W. T.
7. Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre: Services Publics, n° 3, lettre de M. Le Chef de l'exploitation au Commandant de l'établissement pénitentiaire d'Aïn-Beïda, n° D/C du 27 octobre 1924. pp. 145-146, A. W. T.
8. Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre: Siège Social, n° 11, lettre de M. Le Chef de l'exploitation au Commandant de l'établissement pénitentiaire d'Aïn-Beïda, n° D/C du 4 juillet 1925. p. 24, A. W. T.
9. Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre: Siège Social, n° 2, lettre n° 17 du 27 juillet 1916, A. W. T.
10. Ibid.
11. Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettres: Siège Social, n° 11, Op.cit.
12. شلالي، المرجع السابق، ص. 89.

13. Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre: Divers, n° 12, lettre de M. Le Chef de l'exploitation, à M. L'Officier d'Administration, gérant l'annexe du service du campement de Bône, n° 727 du 12 septembre 1923. p. 49.
14. Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre: Services Publics, n° 3, lettre de M. Le Chef de l'exploitation, à M. L'Officier d'administration, gérant l'annexe du campement de Constantine, n° S/S du 16 juin 1924. p. 20.
15. Ibid, lettre de M. Le Chef de l'exploitation à M. Le Commandant de l'établissement pénitentiaire d'Aïn-Beïda, n° D/C du 10 octobre 1924. p. 134 & n° D/C du 11 octobre 1924. p. 137.
16. Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre: Divers, n° 30, lettre de M. Le Chef de l'exploitation, à M. MOUGEOT, entrepreneur, Souk-Ahras, n° 787 du 12 juin 1928, p. 496
17. (17) شلالى، المرجع السابق، ص. 90.
18. Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre: Siège Social, n° 2, lettre n° 18 du 18 mars 1916.
19. (19) شلالى، المرجع السابق، ص. 93.
20. Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettre: Siège Social, lettre n° 17 du 27 juillet 1916.
21. Direction de la société l'Ouenza, Correspondance Générale: 1945. Lettre de M. Le (22) Directeur, à M. L'Ingénieur en chef des Mines, Alger, n° 1946 du 1 juin 1945.
22. Direction de la société l'Ouenza, Assemblée Générale Ordinaire, du 11 juin 1924 & du 18 juin 1926.
23. شلالى، المرجع السابق، ص. 94.
24. المرجع نفسه.
25. بحسب ما ذهب إليه المؤرخ الفرنسي "روبير أجيرون"، فإن: "الكوخ كان بالنسبة للجزائري، مأوى مؤقتا وبسيط. ثم صار نظرا لقلّة تكاليفه الشكل الطبيعي لمسكن الفلاح المستقر، ومربي الماشية، والمفلس [وكذا عامل المنجم] ... سعره لا يتعدى 5 أو 6 ف. بينما الخيمة يقدر سعرها بين 50 و 100 ف.... وحسب المحققين، في سنة 1911 كان الكوخ المسكن العادي لحوالي: 1.648.700 جزائري من أصل 4.740.625 نسمة". أنظر كتابه:
26. Direction de la société l'Ouenza, Copie de Lettres: Siège Social n° 2, lettre de M. Le Chef de l'exploitation, à la Société de l'Ouenza, Bône, n° 113 du 19 février 1924, p. 249
27. Direction de la société l'Ouenza, Correspondance Générale : 1937, lettre de M. L'Ingénieur en chef, à M. L'Administrateur Directeur, n° 2506 du 1 avril 1937.
28. Ibid.
29. Direction de la société l'Ouenza, Correspondance Générale: 1951-1952, lettre de M. L'Ingénieur en chef, à M. Le Gouverneur général, n° 328 du 21 janvier 1952.